

العلم الخفي ببيت وجود الله

بقلم القس عبد المسيح زمر

٢

وما عدا من ذكرنا من العلماء سابقاً نستطيع ان نذكر ايضاً عدداً وافراً
من الذين احرزوا خطر السبق في انواع المارم .
فنن الفلاسفة : اراسم ، وفرنيسس باكون الانكليزي صاحب التآليف العلمية
والفلسفية ، وانطون ارندل صديق بسكال ، ولابروير ، ولوك ، وكلارك ،
ومستر ، ويونالد وغيرهم .
ومن القضاة والقتهاء : توما موروس صاحب الايمان الحلي ، ودومولان ،
وداغسو ، ولانرايون ، ودومات ، وغريسيوس صاحب المقال « في حقيقة الدين » ،
وترولفغ .
ومن المؤرخين : إماميون الراهب البندكتي ، ونورل الكسندر احد الرهبان
الدومنيكيين ، والاب تيلمون ، ودولان ، وقاردي المؤرخ الكنسي ، ودوت
كلمت البندكتي ، وبرجير ، والاب نوت ، والاب غنه ، وشوبريان ،
وفردريك اوزنام ، وآخرون كثيرون .
ومن مشاهير الفلكيين : مرشل ، ولاپلاس ، وبينت ، واشره الذي وجد
السيارة نبتون على رأس قلمه ، والاب سكي ، وفاي ، والكولونل ده
ليفونس ، والاب مورو .
ومن اعيان الرياضيين : بويل الايرلندي ، واولر الذي اظهر في رسائله
شدة كرمه للكفار ، وكوشي مؤدب دوق يوردو ، وجان برنولي ، وهرميت
احد اساتذة السربون ، وپوپزو ، وهيرن ، وجيلبرت وغيرهم .

ومن افاضل علماء الكيمياء : لاثوازيه المشهور بتقواه شهيد الظلم ، وبرزيليوس الاسوجني ، وبرتوله ، وغاي لوساك احد اساتذة السربون ، وتشارد احد اساتذة السربون ايضاً ، وج . ب . دوماس احد اعضاء المجمع الطبي ومجمع المعارف والطب ، وليينغ الالماني الاستاذ في مونيخ ، وشثول الذي حلل الثبوت والادمان ودرس الالوان ، وورتر الذي علم الكيمياء الطبية في باريس بمدرسة الطب وآخرون غيرهم .

ومن البارعين في العلوم الطبيعية الحديثة : ريمور ، وثولسا الايطالي ^(١) ، وأمبر التقي ، وفارادي الانكليزي ، وج . ب . بيو ، وروبر مايو ، وبلاتو ، وفرستل ، وكلويزوس الالماني ، وبكرل ، ومكسرل ، ووليم تومسون ، وبرنلي وغيرهم .

ومن الذين عنوا بكشف اسرار الماروم الطبيعية الحديثة : يوفون مؤلف التاريخ الطبي وعصر الطبيعة ، وليته الذي عني بدرس النبات ، وانطوان ده جويسو النباتي ، واخوه برنارد ، وهلمر ، وكوفيه وبلاتشيل ، ولاتري ، واتين جوفروا سانت هيلر ، ولويس آغليز المشايخ كوفيه على آرائه ، والنفس ميلن ادوارد ، وايزيدور جوفروا سانت هيلر ، وغراسيوله ، وكاترفاج الذي دافع عن وحدة اصل الانسان ، وبرونفيلار الاب والابن ، وإلي يومون ، وقان بندن البلجيكي ، وده ثرنويل ، وأوماليوس دالوا البلجيكي ، والاب هاوي ، واندره دومون ، ودريه ، والبر غودري ، وده لاپاران ، ودوبويتزن ، ولانك ، وكوفيه ، وفلورنيس ، وتولان ، وكلود برنار ، وباستور اكبر المحسنين الى النوع البشري ، وآخرون كثيرون ^(٢)

ومن الخطباء والقصاص : يوردلو ، وفلشيه اسقف نيم ، وماسيون ، وبريه ، ومُتالمير ، ولاكوردير وغيرهم .

ومن مشاهير الشعراء ، مالرب ، وكورنيل ، وبوالو ، ورابين ، وج . ب .

(١) كتب هذا العالم عند آخر حياته قال : « اوتيت كثيراً وفئتت ، والآن لا ابرر غير الله في كل مكان . »

روسو ، وسيلثيو بليكو ، ولامرتين الخ .

وبقي أكثر الشعراء والعلماء والفقهاء وأرباب الأدب والمؤرخين والفلاسفة مسيحيين إلى الجليل الثامن عشر . ولنا نذكر أن بعضهم قد ضلّوا وحادوا عن الصراط المستقيم بسبب تقلّب الأهواء عليهم ، ولكنهم تلبّوا إلى الله قبل موتهم . فن هولا ، موتين ، ولافونتين ، ومنسكيو ، ويوفون ، ولا هارب ، ولعل قولتر منهم . أما جان جاك روسو فقد كتب في الإيمان والدين كتابات جمة جُمعت في كتاب عنوانه « جان جاك روسو المدافع عن الدين المسيحي » . ومنهم أيضاً مين ده بيران ، ورويه كلّار ، وجول سيون ، وفرنسوا كريبه ، وبول بورجه الذي بكى طويلاً إيمانه المفقود ، قال : « وبينما أنا جالس في زاوية إلى جانب النار مريضاً وحدي ، فكرت حيناً في الشتاء يوم كنت أؤمن بالله وبكيت . » فاذن أين عدد الكفار من العلماء إذا قوبل بالمؤمنين منهم ؟

سُرايات بعض العلماء

قال سوفكل : « ملك الأولمب أيوها (الشريعة العامة) وهي لم تأت من بشر ولن يحورها النسيان ، لأن الله الإله الأعظم لا يهجم فيها » .
وقال افلاطون : « كل من كان لهم شيء من العقل يستفيثون بالالهة في أول أعمالهم أن كبيرة أو صغيرة . »^(١)
وقال ارسطو : « متى تأمل المرء الأرض والبحر والسماء ، هل يستطيع أن يرتب في وجود اله عظيم قد صنعها ؟ »^(٢)

وقال شيشرون : « أن الشريعة الأولى الحقيقية هي عقل الله القدير المستقيم . وهذه الشريعة عامة ثابتة أزلية تعلم الأخير وتقضي عن الشر ، ولا تستطيع شريعة تضيفها أو الحذف منها ، بل لا الشعب ولا مجلس الشورى يقدران على الاعفاء من الخضوع لها . وهي تفسر نفسها ولا يمكن أن تكون في رومية خلافاً لما هي عليه في أثينة ، ولا اليوم خلافاً للند . لأن هذه الشريعة غير المتغيرة المقدسة

Tim. (٢)

Sophocle, Oedipe roi V. 863 (١)

Cf. Cic. de Nat. deor. II, 37 (٢)

سوف تعود ويسود الله معها في كل مكان وزمان. اذ ان الذي سنها وجزمها هو الله رب العالم وملكه : «^{١)}

قال ايضاً : « ما من امة جافية متوحشة الا وتؤمن بوجود الالهة ولو انها تناط في طبيعتهم . »

وقال : « ان الآراء متشعبة في شأن طبيعة الالهة ، ولكن لم يجحد احد وجودهم . »

وقال في مكان آخر : « كل حكم من قبل الطبيعة متى كان عاماً وجب ان يكون حقاً . اذن الاقرار بوجود الآلة واجب . »^{٢)}

وقال بلوتركس : « انك اذا طلفت في الارض امكنك ان تجد مدناً غير مسورة . . . ولكنك لا تجد شعباً بلا اله وصلوات وایمان وعبادات وذبائح . »^{٣)}

وقال مكسيوس الدورى الفيلسوف : « ان اليوناني والبربري وساكن القارة والجزيرة يقرون بوجود الله باجماع الكلمة . »^{٤)}

قال ترتليانوس : « تريدون ان نبرهن على وجود الله . . . من شهادة نفسكم ؟ انها بالرغم من سجن الجسد الذي يضيق عليها ، واوهام التربية التي تقيدنا ، والاهواء الردية التي تنهكها ، والاصنام التي تقفدها ، متى ثابت الى رشدنا . . . وافاقت من سكرتها ، وتنبهت من ستها ، وعادت اليها صحتها وعافيتها تذكر الله قائلة : يا الله ، يا كريم ، ان شا. الله . هذا نداء كل منا . فيا لشهادة النفس المسيحية طبعاً . »

وقال ايضاً : « ما من شيء يمثل لنا الله مثل القصور عن فهمه ، فان كاله غير المتناهي يديه ويحققه عن البشر في وقت واحد . »^{٥)}

وقال كبلر : « اشكرك ايها الرب الخالق على ما استفزني من الفرح لدى تأمل اعمالك التي بيتت عظمتها للبشر . »

وقال نيوتن : « ان في حركة السيارات ونظامها وتنقل اعوانها ووجهتها

(١) المجهورية ، الكتاب ٣ عدد ١٧

Adv. Col. Epic. (٣

طبيعة الالهة ، ١٧ و ١٦ و ٢

Apolog., 17 (٥

Dissert., I (٤

وسيرهما وشدة ابراعها اثرًا من الثورة وشهادة على عمل علة لا عيا. ولا اتفاقية . »

وقال لابرور : « اني احس بوجود الله ولا احس بان لا اله وهذا حسي . برهان العالم لا ينفعني فاستج وجوده . وهذه النتيجة مركزة في طبعي وقد تلقنت مبادئها بسهولة في صباي ، وحفظتها . الى شيخوختي ، ولم يخطر قط على بالي بطلانها . الا ان بعض العقول تنبذ هذه المبادئ والصورة تدور على وجود امثال هذه العقول . فاذا صح ذلك ووجدت فهو دليل على وجود المسوخ . »^(١)

وقال فولتر : « كل ما في العالم صناعة والصناعة تدل على صانع . تأمل حلزونًا او حشرة او ذبابة تجد فيها صناعة غير متناهية تعجز الصناعة البشرية عن احتضانها . فاذن لا بد من وجود صانع في غاية الخلق ، وهذا الصانع يسميه الحكماء الله . »^(٢)

وقال ايضاً : « ما اورد احد بعد ادلة تنفي وجود عقل سام . » وايضاً : « التعطيل النظري من اغرب الحيلقات . »

وقال : « اذا كانت الساعة تدل على ساعاتي ، والقصر على بناة ، فكيف لا يدل هذا الكون على عقل سام ؟ بل اي نبتة او حيوان او عنصر او كوكب لا يظهر فيه اثر من سواه افلاطون المهندس الازلي ؟ »^(٣)

وقال تروالنج : « بعد ما قرأت كثيراً وقتشت طويلاً واشتقت حيناً ، ما وجدت حقاً سوى التعليم المسيحي . »

كان نابليون يحب مجادلة منج ولاگرانج ولاپلاس علماء عصره في المسائل الفلسفية والدينية . وكان نابليون يحبهم ويكثر من الاكرام لهم ، ولكنه افهمهم مراراً بقوة براهينه ووضح دلائله . قال ذات يوم لمنج : « ان ديني بسيط جداً . اتأمل هذا الكون النسيح الارجاء . الكثير التعميد الفائق الجمال فاقول : ان هذا لا يمكن ان يكون نتيجة الاتفاق ، بل هو بالحري عمل كائن

(١) النصل ١٦

(٢) Œuvres de Voltaire. éd. de Kehl, t. 46, p. 50

(٣) فولتير: تعليقات على les Cabales

مجهول قدير يفوق الانسان كما يفرق الكون اجل الآلات التي نبذلها . ففتش
يا مُنْجِ والمجت واستقص انت واصحابك علماء الرياضيات والفلسفة ، فليست تجد
يوماً أبداً أقوى واقطع . ومهما حاولت دحضه فلن تتوصل الى تضيئه .^(١)
وقال هرشل : « مهما اتسع ميدان العلم زادت وثبتت البينات على الوجود
الازلي والمقل للحلق . »

وقال لينيه : « رأيت الله كما رآه موسى ونظرت قفاه وهو ماز . رأيت
فخرست واستولى العجب علي واخذتني الحيرة . ولكنني تمكنت من اكتشاف
آثار رجله في اعمال الخلق ، اذ ان في اعماله الصغيرة المحروبة كلا شيء قوة
وحكمة وكألاً لا يوصف . »^(٢)

وقال ديدرو : « قدر ان بعض الحقي ينكرون على امثالك قوة التفكير .
فاذا يتبع من هذا الانكار ؟ يتبع انه اذا كان الكون - وماذا اقول
الكون - بل بالحري جناح القراشة يمثل لي آثاراً متميزة الف مرة عن المقل
الذي يدلك على ان مثلك حاصل على قوة التفكير . فانكار وجود الله اكثر
حماقة الف مرة من انكارك التفكير على مثلك . فاذا كان الامر كذلك ،
فانا احالك الى نور عقلك وضيرك . متى رأيت في قري بعض الناس العقيلة
واقطعهم وتصرفهم عقلاً ونظاماً وذكاءً واهمية اكثر مما في آلات الخسرات . »^(٣)
وقال دالامبر : « قال الكافر : اني اذا دفعت رأسي الى السماء صدقت
روية آثار الاله ؛ ولكن اذا نظرت الى ما حولي . . . الجواب : انظر الى
باطنك ؛ ولكن الربل لك اذا كنت لا تقنع بهذا البرهان . في الحقيقة انه
لا حاجة لنا الى التزول الى اعماق نفوسنا لنرى فيما عمل العقل السامي الذي
وهب لنا الوجود ويحفظه فينا . فهذا الوجود معجزة لا تؤثر فينا لانها دائمة
متواصلة . غير انها تمثل لنا في كل وقت قوة سامية بها منوط امرنا . ومهما
كان اثر عمل هذه القوة محسوساً فينا وفي ما يحيط بنا فمع ذلك لا عذر لنا في

(١) تاريخ التسمية والمسلطة ، وجه ٢٢٠

(٢) Linné, cité par l'éditeur de la Raison du Christianisme

(٣) المؤلف المذكور سابقاً

التفتيش عنها في الاشياء الكثيرة التي لا طائل فيها . «^١»
وقال تيريس : « ان اكبر المقبول مجاز في عجائب الخلق . فالمقل يبين
المقل في الكون ولذلك كان المقل الكبير اقدر من الصغير على رؤية الله من
خلال اعماله . »^٢

واذا حاولنا ايراد اقوال العلماء في اثبات وجود الله ضاقت الصحف وتفتت
القراطيس فنكتفي بما ذكرنا وحسب .
ولعل معترضاً يمتعض قائلاً : ولكن العالم ما خلا من علماء اعلام اصحاب
عقول ثاقبة واحلام راجحة اصرؤا على انكار الاله .

الجواب : اللهم نعم . غير ان انكار هذه الزرة وجود الله لا يستطيع
نسخ الحقيقة وهم صرحوا ، ولا سيما ان هؤلاء العلماء ما ايدوا قط قولهم
بالادلة الواضحة والحجج اللائحة ، بل اقتصروا على الانكار بلا حجة ودليل .
على ان الحقيقة المثبتة بالبراهين الساطعة والبيّنات الناصحة لا يطمعها اعتراض
المعترضين ، ولا سيما ان الكفار الحقيقيين عددهم تزداد ، بل ان بعض
الفلاسفة انكروا وجودهم ، لان ليس كل من اتعب الى الكفر كان في
التحقيق كافراً مقنعاً بكفره . ولذلك ليست الاسباب الدافعة الى الكفر من
نتائج العلم الصحيح بل ما هي الاثرة تسلط الشهوة على المقل . قال الحكيم :
« سحر الاباطيل يمشي الخير ودوار الشهوة يطيش المقل السليم . »^٣ وقال
فليكس لونت : عدد المطلة قليل في عصرنا ولو قالوا بها قالوا .^٤

فهذه الكافر هذا هو : اني لا اعتقد وجود الله لاني كافر . هذا يرمي
الكفر . وقد اعتاد المجمل الجزم والقطع في الامور بلا فحص واطالة نظر .
بل ان كثيراً من هؤلاء الاشقياء البائسين يجولون مبادئ الدين الذي يشنون
عليه غاراتهم ، واذا تدارسوها حيناً كان ذلك منهم فضولاً او سبباً لمقاومتها
والاجتهاد في ابطالها . اما ضلال الداهيين الى ان العلم قادر على كشف

D'Alembert, de l'abus de la critique en matière de Religion, chap. VII. ١١

٢ تاريخ القسطنطينية والمملكة ، المجلد ٣ وجه ٢٠٩

٣ حكمة ١٢ : ٢ ٤ طالع كتابه المنون L'Atthisme ، صفحة ١٧

الاحرار فاقبح واشد فظاعة. وزيقاً لهذا المدعى استمع ما قال اللورد ساليسوري في شهر آب سنة ١٨٩٤ ، في حضرة اعضاء مجمع تقديم العلوم البريطاني في اكسفورد : كان يُظن سابقاً ان نظريات مذهب النشوء مضرة من الوجهة الدينية ، ولربما كان الامر كذلك ، لو سَدَّت الاشباح سدَّ الايمان ، وأقيم البرهان على كون العلم ومذهب النشوء الكفري متلباً احدهما بالآخر ، وكون العلم والدين غير متقين ولكن قليل هم الذين يظنون في وقتنا الحاضر ان مبادئ الاختبارات العلمية ، او المجاهر تستطيع استجلاء الالغاز المتعلّقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها . على اننا عاثون في وسط واحدة من العلم زاهرة ، ولكنها ضيقة يحدق بها من كل جهاتها اقطار حافلة بأسرار لا يسبر غورها ولم يفرعها بعد احد فالأقرار بجَهْلنا خير جواب على الالتغاز التي تطرحها علينا الطبيعة . »

فاذن من بلغ من العلم ما استطاع به ادراك كنه الدهر كيف لا يكون اسرع ادراكاً لرب الدهر ؟ كما قال الحكيم . على ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبيعتهم ، اذ لم يقدرُوا ان يطمسوا الكائن من الخيرات المنظورة ، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها . واذا كانوا دهشوا من قوة « الطبيعة » وفعلها ، فليتهنوا بها كم منشأ اقوى منها . فانه بعظم جمال المبروات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة^(١) . وقال الرسول بولس : ان غير منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروات ، وكذلك قدرته الازلية والرحمة حتى انهم لا معذرة لهم^(٢) .

الخلاصة : الجاهل وحده قال في قلبه ليس اله^(٣) . اما العالم فقد عرفه ومجده واعلن قدرته .

(٢) رومية ١-٢٠

(١) حكمة ١٣: ١-١٢

(٣) مز ١٣ : ١